

## الأنساق الثقافية والتمثيلات المعرفية في ثقافة وأدب الأمير عبد القادر

معاشو بووشمة<sup>(1)</sup>

### مقدّمة

الخطاب الأدبي دال وعاكس للثقافة، وهو مادة ثقافية تبلور التصورات والممارسات السائدة فتحولها إلى رموز وإحالات، تحيل على أنساق ثقافية تتحرك في المجال الثقافي لعصر النص. فالمجتمع ينتج ثقافة ويبدع رموزا انطلاقا من وجود علاقات وثيقة بين الصور الذهنية والممارسات المختلفة التي تسجلها الذاكرة بوصفها أسلوبا من أساليب التعبير عن الهوية ونقل المعرفة والثقافة.

السؤال الذي يطرح هو : كيف تتمكن الأنساق الثقافية من استثمار ذلك التنوع والتشابك فتبلوره (نصا) ؟ أو كيف تجعل النص الأدبي مفهوما ومتمثلا، ومستعملا وكاشفا، ثم ناقلا(تواصل-تداول) للثقافة التي أنتجته وأثرت مخياله ولغته ؟ وهل كان لعصر الأمير عبد القادر تأثير في ثقافته ؟ وما مدى انعكاس ذلك في نتاجه الأدبي والفكري ؟ وما هي الأنساق الثقافية المهيمنة في عصره وفي مجتمعه، التي بلورت تصوراته وتمظهرت في أعماله وأثاره الأدبية والفكرية ؟

### الإجراءات المنهجية

للإجابة عن الإشكالية المطروحة يمكن بلورة خطوات منهجية إجرائية تحدد ماهية الأنساق الثقافية ومضامينها ومن أجل ذلك لابد من :

- استنطاق الثراء الثقافي والرصيد المعرفي للعلامة اللغوية وحمولتها المعرفية : تتبدل

---

<sup>(1)</sup> Centre Universitaire Abdelhafid Boussouf, 43000, Mila, Algérie.

الأنظمة اللغوية بتبدل الطابع الثقافي. وعبر سبر أغوار الأنساق المضمرمة المكونة للعلامة اللسانية بحمولتها ورصيدا الثقافي، التي انفتحت على عدة علوم كالإنسانيات "...التشظي والتفكيك والترابطات التي لا تحتكم لأي سياق سوى السياقات التي تفرزها، والإحالات المتتالية ذاتها..." (بنكراد، 2013، ص. 106). يعتبر الخطاب الأدبي خطابا يرتكز على بعد ثقافي خاص، وينطلق من تركيب لساني مختلف. ينتج فهما خاصا للمجتمع، وأسلوبا خاصا في الفهم والتداول والتأثير.

- استثمار المنهج التداولي وجماليات التلقي: أفضى البحث في مجال لسانيات الخطاب والمنهج التداولي باعتباره مهتم بأفعال الكلام، وينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ومهتم بدراسة اللغة بوصفها ظاهرة تواصلية اجتماعية، خطابية حجاجية، والتداولية تؤدي إلى تقوية العلاقة بين اللسانيات والثقافة، ومعجم التواصل مفعم بدلالات المثاقفة والحوار، والإبلاغ والإخبار في مختلف المواضعات. "... مطابقة الوحدة اللغوية للوحدة الثقافية (شرط أن يتضمن مفهوم الثقافة مفهوم المواضعات الاجتماعية..." (أحمد يوسف، 2010، ص. 62). خاصة في مجال التداولية التي بلورت مباحث التواصل وطورتها بالقدر الذي يساعد على فهم تداولية الأنساق من جهة، وتفاعلية النص الأدبي وكيفية تأثيره من جانب آخر.

- الاستعانة بالكشوفات العلمية في مجال الدراسات الثقافية : محاولة التعامل مع الثقافة في ضوء الممارسات التي أنتجتها، وقد وضعت أنماط إنتاجها وأنساقها ومسلماها من معتقدات وتقاليد ورموز موضع البحث، متوخية الوصول إلى سر ذلك التفاعل الخلاق بين عناصر الثقافة، والعناصر الجمالية المجسدة في القنوات التواصلية على شكل صور -أدبية- قصد تمريرها وحفرها في الذاكرة على شكل مادة ثقافية وتجربة أدبية وإنسانية متفاعلة. من هذا المنطلق فإن الأرضية المؤسسة للفهم والتبادل هي الثقافة المشتركة، التي تتقاسمها الذوات المعرفية، الباحث أو الكاتب والمتلقي، ويتشاركان في أنساقها باعتبار النص ظاهرة ثقافية (عشير، 2012).

- الاحتكام للتأويلية التواصلية : العمليات التي يمكن أن تمارس على النصوص الأدبية، مثل : الفهم والتفسير، والشرح والتأويل والتطبيق، هي فعاليات تأويلية تستند على تأويل العلاقات التي تحدث بين النصوص فيما بينها، وفيما بينها وبين الثقافة في تفاعلاتها المختلفة مع الواقع وداخل النصوص، مما يساعد على كشف بعض المعطيات العملية

في فهم النصوص وتجربتها لكشف أنساقها الضمنية " ... فموضوع العلاقة أصبح اليوم موضوع المعرفة ذاتها، على أنها الطفرة التي تعرفها مختلف العلوم والنظريات في الوقت الراهن..." (أحمد يوسف، 2010، ص. 61) دون إغفال أهمية التأويل على المستوى التواصلية المستخدم في الإنتاج المعرفي، وتوزيعه ونشره، وهو ما ركز عليه امبرتو إيكو في قضية السياق، حين رفض مقولة المرجعية الواقعية وعضها بالمرجعية الثقافية " ... لذلك فإن كل فعل تنميمي ينجزه القارئ، لا ينجزه إلا في حدود وجوده الثقافي..." (شرفي، 2007، ص. 132).

إن فهم الأنساق المتوارية والمندرجة في فجوات الثقافة وضمن الإنتاج الأدبي، يسهم في فهم الحقائق المجتمعية والأساليب الفكرية، وطبيعة الحياة، ومكونات الثقافة. فالنص الأدبي مثلاً يعكس تجربة ثقافية، ويصور نماذج عيش محكومة بطرق تفكير وتصورات عن طبيعة الحياة، فالأنساق بهذا التصور تؤسس لقيمة وظيفية في بينة النصوص والإنتاج الثقافي المتنوع، وهي تشكل المهيمنة التي تفرض وجودها وفعلها في البنية القاعدية والسيرورة التلقائية لكل ثقافة، ومنه يمكن دراسة ماهيتها لمعرفة كيفية تفاعلها وانتقالها وهيمنتها.

### ماهية الأنساق الثقافية ومفاهيمها

من أجل فهم أعمق للأنساق الثقافية ودراسة كيفية تأثيرها، من المنطقي في البحث العلمي الوقوف على الفروق العلمية بين مفاهيم الثقافة المختلفة، وكيف تتفاعل الأنساق فيما بينها وبين الفعل الرمزي والثقافي المشترك ضمن دائرة الثقافة. فلا يمكن فصل الثقافة عن تأثيراتها وتفاعلاتها.

من هذا المنطلق تعتبر الثقافة بمفهومها الإجرائي المناسب لهذا الطرح، والتي " ... تتكون من نماذج ظاهرة وكامنة من السلوك المكتسب والمنقل بواسطة الرموز، والتي تكون الإنجاز المميز للجماعات الإنسانية، والذي يظهر في شكل مصنوعات ومنتجات. أما قلب الثقافة فيتكون من الأفكار التقليدية (المتكونة والمنتقاة تاريخياً)، وبخاصة ما كان متصلاً منها بالقيم. ويمكن أن نعد الأنساق الثقافية نتاجاً للفعل من ناحية، كما يمكن النظر إليها بوصفها عوامل شرطية محددة لفعل مقبل ... " (عبد الغني عماد، 2006، ص. 32)، فمن خصوصية الطابع الثقافي الارتداد الداخلي للفعل الثقافي والاجتماعي، والانعكاس الخارجي للعقل الجمعي وتمظهره في النص الثقافي والأدبي والفكري " ... تعتبر أن النظم الاجتماعية

ذات خاصية إلزامية تفرض نفسها على الأفراد وتجبرهم على طاعتها، وهذه الخاصية مستمدة من المجتمع ممثلاً في العقل الجمعي...". (عبد الغني عماد، 2006، ص. 11)

وفي مقاربة لفكر غولدمان التي توحى "...بأن الفاعل الحقيقي في الإبداع الثقافي هو الجماعات الاجتماعية لا الأفراد المنعزلين..." (عبد الغني عماد، 2006، ص. 12)، ومنه تتأسس علاقة انصهار الجماعة في السمات الاجتماعية التي ترتد على الإنتاج الثقافي، فتنتج أنماط حياة موافقة ومميزة بملامحها، لأن "... انقياد السلوك الخارجي للنماذج والأنماط السلوكية السائدة، يرمز إلى انتماء الشخص- الفاعل إلى نظام معين من مراقب القيم، وأي انتماء إلى القيم يرمز بدوره إلى الانتساب إلى مجتمع بعينه أو إلى جماعة معينة..." (عبد الغني عماد، 2006، ص. 28)، ومن أجل فهم أفضل لعمل الأنساق ومرجعياتها داخل النصوص يجب "تفكيك الموقف وإعادته إلى جذوره من جهة، وتبيان آلية اشتغال العناصر الثقافية المتعددة وتفاعلها من جهة أخرى، والمفضية إلى كشف العناصر المضمرة أو المستورة..." وبالتالي يمكن فهم دورها في إنتاج النص الأدبي وبلورة أدبيته وفعاليته الثقافية.

### فاعلية الأنساق وتنوعها

من منطلق طموحات الدراسات الثقافية التي تشتغل على مقاربة فعل الأنساق الثقافية وتفاعلها، وفي إدراكها لأهمية الإصغاء للأنساق الضمنية (المهيمنة والمهمشة معاً)، إضافة إلى اهتمامها بمختلف النظريات النقدية وخاصة التحليل النفسي والتأويلية والتداولية، والاستفادة منها جميعاً، ومن حيث تظافر آليات إنتاج النصوص ومؤثراتها المختلفة من منظورات مختلفة، ارتبطت بمفاهيم وآليات النقد الثقافي، والدراسات الثقافية كالتاريخانية المندرجة تحت غطاء التحليل الثقافي وغيرها فالنص "يحتوي على منظورات اجتماعية وتاريخية وأخلاقية، ومكونات أدبية جمالية..." (أحمد يوسف، 2010، ص. 62). دون أن تكسب صفة المطلق والعالمي، نظراً لنسبية واختلاف الأحكام الجمالية والقيم الفنية بين المجتمعات عبر العصور. إنما يركز النقد الثقافي على التنقيب عن الأنساق المضمرة والفعالة، ومرجعيات السلطة والمؤسسة التي تتخلل الإبداعات لإضفاء الشرعية والمهيمنة.

وفق هذا التأسيس تتشابك الرؤى المختلفة في التعامل مع آليات وإمكانات تفاعل النقد الثقافي، باعتباره فعالية ذهنية ترتكز على الثقافة بتشعباتها وتطوراتها، لا تتوقف عند حدود المعيارية. تسائل الأنساق المضمرة وتحفر حول الجملة الثقافية والمؤثرات المختلفة النسقية والهامشية، متمثلة في ثبات بعض الأنساق، مثل الديني والهوياتي، وتغير أخرى المندمجة ضمنها والفاعلة فيها، مثل الاجتماعي والثقافي، ومدى تداخلها ضمن شبكة تساهم بمختلف الطرق في إنتاج النص الأدبي والثقافي والفكري.

### ثبات النسق الهوياتي

من منظور الوعي الجمعي يمكن فهم واعتبار الخطاب الأدبي (باعتباره مشروع جماعي يجمع المؤلف والقارئ والسياق)، لأنه يؤرخ لتفاعل منتج مع عموم المؤثرات الثقافية والفكرية الداخلية والخارجية الملتفة حوله، والتي تتفاعل بينها، وبالتالي فهو صورة مكثفة للزمن الذي وجد فيه، حيث يعكس الزمن الذي ظهر فيه نتاج الأمير عبد القادر. حضور الانتماء القبلي مثلته المبايعة ونوعية المصاهرات التي انعكست في قصائده الغزلية والمدحية. ومنه يمكن تلقي الأدب ضمن استراتيجية واعية بالخطاب- بتنوعاته واتساعه - في كونه معبراً عن ذات لها خصوصيتها وهوية لها تأثيراتها وانعكاساتها داخل النص، وبالثقافة التي تصور تلك الهوية وتبرزها وتنتجها في الآن نفسه، وفي كونها تعبير عن وعي وإسقاط لذاكرة جمعية لها أنساقها.

حيث نجدها تتمظهر في عدة مستويات، فعلى المستوى الفردي تتجسد الهوية عندما يشعر الفرد بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني يشاركه في بنية من القيم والمعايير الاجتماعية، ففي هذا المستوى يعتبر الفرد ذاتاً فردية ونفسية مرتبطة بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية، وهنا تبرز مسألة الجزارة، أو الجزائرية، وكيف يشعر ويعيش الجزائري جزائريته في ظل التحولات وارتداداتها ؟

يتجلى النسق الهوياتي في كتابات الأمير عبد القادر من خلال مراسلاته وتوجيهاته وتعييناته التي تظهر بشكل بارز سيطرة الهوية والنسق القبلي عليه، ففي إحدى رسائله إلى الغرابة يقول "... من عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى بن المختار إلى أحب الإخوان وأود القرابة ..." (بن التهامي، 2009، ص. 356). ويؤكد ذلك أيضاً في ديوانه حيث يظهر كيف يسيطر على تفكيره النسق الهوياتي القبلي والعائلي. ففي هذا المقطع من شعره يظهر فخره بالدم العربي القرشي، وبانتمائه إليه، وبأنه ورث مجد وبطولة عرفت بها قريش، ونالت بها مجدها وعزتها.

وَرَزَّنَا سُؤْدُذَا لِلْعُرْبِ يَبْقَى وَمَا تُبْقَى السَّمَاءُ وَلَا الْجِبَالُ  
فَبِالْجِدِّ الْقَدِيمِ عُلْتُ قُرَيْشٌ وَمَنَا فَوْقَ ذَا طَابَتْ فَعَالُ

وقريش هي الانتماء القبلي للأمير حسب كتابات تلك المرحلة والتي تلتها، وهو يستدل بذلك في قوله، بأن الكتاب شهد لهم بذلك :

وَكَانَ لَنَا دَوَامُ الدَّهْرِ ذَكَرٌ بِذَا نَطَقَ الْكِتَابُ وَلَا يُزَالُ  
وَمَنَا لَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ عَصْرِ رَجَالٌ لِلرَّجَالِ هَمَّ الرَّجَالُ

في سياق الفخر والحماسة الذي يسيطر على ابداعات الأمير بشكل جلي، خاصة اعتزازه بالنسب النبوي، وانتمائه للدوحة النبوية الشريف، فهو يصرح به في كل مناسبة، ويعتبر هذا الشعور محركا طبيعيا ودافعا حقيقيا لجذوة الفخر في قصائده، فهو نسق قبلي هوياتي مسير في ابداعاته، وعاكس بصفة جلية لمهيمنات التفكير لديه "...الدوحة النبوية الشريفة، فهو من الفرع الحسني، الذي يستمد قدره من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من هنا كانت حتمية تقديم الولاء والطاعة لهذه الدوحة النبوية، وطلب الشفاعة النبوية، وبذلك يؤمن المرء لنفسه الاستقرار الروحي والنفسي :

أبُونَا رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ الْوَرَى طُرَا فَمَنْ فِي الْوَرَى يَبْغِي يَطَاوِلْنَا قَدْرَا  
وَلَنَا غَدَاً دِينَا وَفَرْضَا مُحْتَمَاً عَلَى كُلِّ ذِي لَبِّ بِهِ يَأْمَنُ الْغَدْرَا

ويكتفي الأمير بهذا الفخر عن كل منصب، وعن كل رتبة دنيوية، لأنه لا مجال للمقارنة والمفاضلة بين فخر وفخر، خصوصاً إذا كانت المقارنة والمفاضلة بين فخر نبوي شريف، وبين فخر مادي دنيوي.

وَحَسْبِي بِهَذَا الْفَخْرِ مِنْ كُلِّ مَنْصِبٍ وَعَنْ رُبَّةٍ تَسْمُو وَيَبْضَاءُ أَوْ صَفْرًا  
(السيد، 1985، ص. 191).

ويؤكد هذا المذهب الفكري والنسق المعرفي الذي ينطلق منه في تأكيد زعامة القبيلة ورجالها عبر العصور ويقول أيضا :

لَقَدْ شَادُوا الْمُؤَسَّسَ مِنْ قَدِيمٍ    يُؤْمُ تَرْقَى الْمَكَارِمَ وَالْخِصَالَ  
لَهُمْ هِمَمٌ سَمَتْ فَوْقَ النَّرْيَا    حُمَاةَ الدِّينِ دَأْبُهُمُ النَّضَالَ  
لَهُمْ لَسُنُّ الْعُلُومِ لَهَا اخْتِجَاجٌ    وَبَيْضُ مَا يَلْتَمِهَا النَّزَالُ  
(عبد القادر الجزائري، 1965م، ص. 56)

ويبدو أنه ورث هذا المجد الذي يتعالى به ويفتخر، فيظهر هذا النسق بارزا ومسيطرًا على نظام الخطاب الأميري، مشكلا لغته ونزعتة القبلية الهوياتية في مختلف قصائده وكتاباتة. ويعتبر الفخر طبيعيا وفطريا في نسقية تفكير الأمير عبد القادر الذي لا يدع أي مناسبة إلا وينكشف في إبداعاته الشعرية، فهو فخر يبدأ بالعروبة كمصدر تاريخي عام وشموخ شخصي لما يحتويه من موروث كبير في نفسه ونفوس عامة الشعب، ففي تقديم ممدوح حقي لديوان الأمير يقول ".... القومية العربية قد توضحت عنده، وقد سبق بها زمنه بنحو قرن تقريبا. ويعتبر الأمير نفسه وارثا للسيادة العربية، والمجد العربي اللذين يبقيان في نظر الأمير، وإن زالت السماء والجبال :

وَرَثْنَا سُؤْدَا لِلْعُرْبِ يَبْقَى    مَا تُبْقَى السَّمَاءُ وَالْجِبَالُ

أما المصدر الثاني من مصادر عظمة الأمير، الذي أراد أن يحققه بإرادته تحقيقاً عملياً، ويمارسه ممارسة تطبيقية، فهو النسب الوضعي الاكتسابي، وتتوسع دائرة هذا الفخر حتى تشمل الفخر بمناقبة الأخلاقية الحميدة، وبثقافته وعلمه، وبالإمارة والملك، وبشجاعته وحماسه في الحروب، ويمكننا تجاوزاً أن ندخل محيط هذه الدائرة أيضاً، فخره بشجاعة صحبه، وحسن بلائهم، وبالداوة. (السيد، 1985، ص. 194)

### متغيرات النسق السياسي

على المستوى السياسي يبدو النسق السياسي المتغير الأساسي على شكل أفكار وقرارات واختيارات سياسية، تبرز أكثر في كتاباته وتعبيراته، وتعتبر خلفية تبريرية لبعض قراراته السياسية وأحكامه الخاصة، إذ يدمج الأمير إرادته في كتاباته ويفسرها حسب توافقها مع تصوراته وتصورات الجهة التي ينتمي إليها ويتحكم بها، فهو يؤدي من خلال كتاباته عدة أدور : منها التبريرية والشارحة أو المفسرة، ومن جهة أخرى أدوار تؤدي صفة الإلزام والتأكيد على الفعل والدعوة إليه.

ولنا في بعض الأمثلة من نصوصه الشعرية ونثره في رسائله ذلك التأكيد والدفع بعجلة القرارات وتبريرها بالقرائن التي تثبت تحكم نسق سياسي مرتبط بالهوية من جهة، ومرتبطة بالتصورات الشخصية التي يتم تعويمها بشكل لافت للانتباه من جهة أخرى، مثلاً في قوله :

لنا في كل مكرمة مجال ومن فوق السماء لنا رجالاً  
ركبنا للمكارم كل هول وخضنا أبحراً ولها زجال  
إذا عنها تواني الغير عجزاً فنحن الراحلون لها العجال  
(حقي، 1965م، ص. 105).

إن محاولة ربط نيل المكارم بالفعل والدفع نحوه، وتبرير هذا الدافع من خلال ربطه بالمكارم الماضية والمكارم اللاحقة التي ينالها الشخص بعد أداء الفعل المطلوب وركوب الأهوال.

أما أساس الحكم فهو يبرر موقفه، مشبها حكمه بالحكم العمري الذي يعتبر عاكساً للحكم النبوي، ويعبر عن فترة حكم إسلامية عادلة يقول :

وَقَدْ سَرَّتْ فِيهِمْ سِيرَةٌ عُمَرِيَّةٌ وَأَسَقَيْتَ ظَمِيمَهَا فَارْتَوَى  
وَإِنِّي لِأَزْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا الَّذِي سَنَبِرُ الدِّيَابِجِي بَعْدَ مَا لَوَى  
(حقي، 1965م، ص. 92)

فهو يتبنى حكماً نبوياً إسلامياً، انطلاقاً من كونه أميراً يمثل الخليفة، وصورة عاكسة عن الحاكم العادل المتمثل في صفة الأمير الحقيقي :

أَمِيرٌ إِذَا مَا كَانَ جَيْشِي مُقْبِلًا وَمُوقِدُ نَارِ الْحَرْبِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهَا صَالٍ  
إِذَا مَا لَقَيْتُ الْخَيْلَ إِنِّي لِأَوْلُ وَإِنْ جَالَ أَصْحَابِي فَإِنِّي لَهَا تَالٍ  
أَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا يَخَافُونَ مِنْ رَدَى فَيَشْكُرُ كُلُّ الْخَلْقِ مِنْ حُسْنِ أَفْعَالِي  
(حقي، 1965م، ص. 80)

والحكم العادل أيضاً يمثل قوة ردع صارمة وعادلة في مقابل حسن الأفعال وحسن التصرف :

وَنَحْلُمُ إِنْ جَمَى السُّفْهَاءُ يَوْمًا وَمَنْ قَبْلَ السُّؤَالِ لَنَا نَوَالٌ  
(حقي، 1965م، ص. 80)



تنعكس نسقية التفكير السياسي الموروث عن الفترة الإسلامية في متصور الأمير عبد القادر، وعهد النبوة التي تتجسد في الفخر بالعروبة والنسب، واعتبارهما كمصدر أحقية للحكم، بالإضافة إلى قوة الشخصية والاستحقاق الشخصي، مع توفر أخلاقيات الحكم كما يتصورها الأمير نفسه، وهي التي انعكست بدرجات متفاوتة في شعره وثقافته.

## فاعلية النسق الديني

من خلال كتابات الأمير ونتاجه الأدبي يبرز النسق الديني جليا، إذ يشكل مجمل العلاقات النصية البارزة والخفية، ويبدو على سطح النصوص وتكوينها الظاهر في النصوص الموازية والتفاصيل ومجمل الإنتاج الأدبي. لعل في إنتاج الأمير وكتبه التي شكلت في مجموعها تصورا عن تكوين ديني ونسق تربوي مهمين.

انطلاقا من كتاب المواقف، والمقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، وذكرى الغافل وتنبيه الجاهل، وهي كلها كتب مطبوعة منتشرة، زد عليها تجارب الأمير الدينية في طريقته القادرية وتدينه منذ نعومة أظافره، التي يبدو أنها شكلت طريقة تفكيره وأسلوب كتابته، ذات الطابع الديني، مثل ديباجة البدايات في كتبه ورسائله وفتاويه، فهو يركز على تقليد تجارب كتابات دينية سابقة، وحريص على تتبعها والكتابة على منوالها هذا من الجانب السطحي.

أما من ناحية البنية الداخلية العميقة، فإن هيمنة النسق تتجلى في عدة مستويات منها - ربط كل التصورات بالمعتقد الديني، من نجاح وتقدم، أو فشل وتأخر.

وَلَا زَالَ سَيِّئًا إِلَى اللَّهِ دَاعِيَا      بِعُلْمٍ وَحَلْمٍ مَا يَضُمُّ شِرَاعُهُ  
وَلَا زَالَ لِلْعُلَيَّاءِ أَزْفَعُ رَايَةٌ      وَبَشَرَاهُ مَبْذُولٌ لَنَا وَطِبَاعُهُ  
(حقي، 1965م، ص. 105)  
بِعُلَيَّائِنَا، يَعْطَوُ الْفَخَّارُ، وَإِنْ يَكُنْ      بِهِ قَدْ سَمَّا قَوْمٌ وَنَالُوا بِهَا نَصْرًا  
وَبِاللَّهِ أَضْحَى عِرْزُنَا، وَجَمَالِنَا      بِتَقْوَى وَعَالِمٍ وَالتَّرْوُدِ لِلْأُخْرَى  
وَمِنْ زَامٍ إِذْ لَأَلَّا لَنَا قَلَّتْ      حَسْبُنَا إِلَهَ الْوَرَى، وَالْجِدِّ، أَنْعَمُ بِهِ ذَخْرًا!  
(حقي، 1965م، ص. 92)

- من جهة ثانية يعتبر مستوى تفسير كل مجريات الأحداث وإرجاعها إلى سبب ديني، هو النسق الغالب في كتابات الأمير وأدبه :

عِيَاذِي مَالَاذِي عَمِدَتِي ثُمَّ عُدْتِي وَكَهْفِي إِذَا أَبْدَى نَوَاجِدُهُ الدَّهْرِ  
تَضُوعُ طَيْبَا كُلُّ زَهْرٍ بِنَشْرِهِ فَمَا الْمَسْكُ؟ مَا الْكَافُورُ؟ مَا اللَّيْدُ؟ مَا الْعُطْرُ؟  
وَمَا حَاتِمٌ؟ قُلُّ لِي، وَمَا حَلَمٌ أَحْنَفٍ؟ وَمَا زُهْدُ إِبْرَاهِيمَ أَدْفَمٌ؟ مَا الصَّيْرُ؟<sup>1</sup>

- وفي مستوى ثالث اعتبار المقادير ونتائج الأفعال قدرية لا دخل لإرادة الإنسان فيها،  
مما انعكس على تجربة الكتابة خاصة الشعر، وبرز جليا في قوله مادحا نفسه

أَسْكُنُ فُؤَادِي وَقَرَّ الْأَنْ فِي جَسَدِي فَقَدْ وَصَلْتُ بِجِزْبِ اللَّهِ أَحْيَا  
هَذَا الْمَرَامَ الَّذِي كُنْتُ تَأْمُلُهُ فَطَبُّ مَا لَا بُلْقِيَاهِ وَطَبُّ حَالَا  
وَعَشَّ هَنِيئًا فَأَنْتَ الْيَوْمُ أَمَنْ مِنْ حَمَامٍ مَكَّةَ إِحْرَامَا وَإِحْلَالَهَا  
(حقي، 1965م، ص. 105)

انعكست خصوصيات النسق الديني في إبداعات الأمير عبد القادر خاصة الشعرية،  
فكانت ذات ارتدادات داخلية شكلت بينة النص الضمنية والسطحية، والتي كانت تمثل  
العقل الجمعي وكيفية تمظهره في النص الأدبي، وهو الطابع الغالب والأسلوب المهيمن على  
شعر الأمير على وجه الخصوص.

## خاتمة

نخلص إلى أن تفسير ومحاولة فهم عمل الأنساق داخل النصوص، وكيفية تشييدها  
للنصوص الأدبية وخلق شبكة علاقات بين بنياتها المختلفة، كفيل بمنح المعنى لأي تحليل  
وتأويل، فالتأويل وكل ما يتعلق بالظروف العامة، والسياقات والمقامات المختلفة، منها  
المركز والسلطة والأيديولوجيات. ومدى فاعلية عملية التأويل في عملية التواصل داخل  
المجتمع عبر مختلف الفترات، بحيث من المعلوم أن لكون فترة أساليب تلقي وتواصل تصطبغ  
بصبغتها وسياقاتها، ولكل مرحلة من مراحل الإنتاج الأدبي تعالقاتها وترابطاتها الذهنية  
والزمانية والمكانية، والتي ترتبط بشكل أو بآخر بالذاكرة الجمعية المنصهرة في الفكر  
الفردية، والتي تنبعث من خلال أدبه وإنتاجه الفكري عموما.

<sup>1</sup> نفسه، ص. 135.

## بيبليوغرافيا

- بن التهامي، الحاج مصطفى (2009). سيرة الأمير عبد القادر وجهاده. (بوعزيز يحيى، تحق. تق. تع.). الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، ص. 356.
- بنكراد، سعيد (2013). وهج المعاني سيميائيات الانساق الثقافية. الدار البيضاء-المغرب: المركز الثقافي العربي، ص. 106.
- الجزائري عبد القادر (1965م). الديوان. (ط. 1). (حقي ممدوح، تحق.). بيروت: دار اليقظة العربية، ص. 56.
- السيد فؤاد، صالح (1985). الأمير عبد القادر الجزائري متصوفاً وشاعراً. (د. ط.). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- شرفي، عبد الكريم (2007). من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة. دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة. (ط. 1). بيروت-لبنان: منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم، ص. 132.
- عبد الفتاح، أحمد يوسف (2010). لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة. (ط. 1). بيروت، لبنان: منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم، ص. 62.
- عشير، عبد السلام (2012). عندما نتواصل نغير. الدار البيضاء-المغرب: افريقيا الشرق، ص. 9.
- عماد، عبد الغني (2006، شباط). سوسولوجيا الثقافة - المفاهيم والاشكاليات، من الحداثة الى العولمة. (ط. 1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.